الفصل الثالث

مصر:

هل هي بحاجة إلى اسم؟

"ابنة من أنت؟"

ابتسمت، لتزداد وجنتيها احمرارا، يتطاير شعرها جانبا، مع التفاتها؛ لتنظر ناحيتي، وتجيب بكل ما تحمله كلمة براءة من معنى:

"أنا ابنة بابا"

اعتاد الريفي الذي يعمل في المدينة أن يقضى إجازته في البلد، ونراه يعُد العدة للعودة إليها، حيث الأهل والأصدقاء، حيث الأسرة والأحباب. وما ينفك أن يرى أحدا، إلا ويخبره بأنه سوف يسافر إلى البلد بضعة أيام، ويشترى الهدايا لأحبابه في البلد، ويعد كل من حوله بالتواصل فور عودته من البلد...

ولكن؛ أي بلد؟

إنها قريته أو بلدته التي نشأ فيها.

ولكن لماذا لم يذكر اسمها؟

لماذا اكتفى بأن يقول البلد، ولم يذكر اسمها؟

اعتدنا كل أول خميس من الشهر أن ننتظر حفلة "الست"، اعتدنا أن نتمتع بما تشدو به، وما تقدمه لنا من جميل

الكلمات، وممتع الألحان، بأداء صوتها الرنان، الذي يجتمع له كل المصريون، بل كل الناس في كل درب ومكان.

ولكن؛

من هي "الست"؟

أليس لها اسم يذكر؟

وإذا سألنا الريفي:

إي بلد تقصد؟

ستكون الإجابة المصحوبة باستغراب شديد:

"البلد"

مرة أخرى "البلد" بدون أن يذكر اسمها.

أما إذا سألناه من أين أنت؟ من أي بلد أنت؟ هنا تكون الإجابة مصحوبة باسم، أنا من بلدة كذا، مركز كذا، محافظة كذا، بتفصيل لا يشوبه شائبة، بتفصيل يغنى عن مزيد من السؤال.

والسؤال هنا: ألم يكن قادرا هذا الريفي، أن يذكر اسم البلد من البداية، لِمَ لم يذكر اسم بلدته من البداية، حتى تكون الصورة واضحة؟

من هي "الست"؟

هي سيدة الغناء العربي، هي كوكب الشرق، السيدة أم كلثوم ابنة إبراهيم البلتاجى مؤذن مسجد بقرية طماى الزهايرة، مركز السنبلاوين، محافظة الدقهلية.

إذن فنحن نعرف من هي "الست"

فلماذا لم نذكر اسمها من البداية؟

والإجابة هنا مرتبطة بالسؤال، ومرتبطة بمن يسأل، ومن يجيب، وأيضا مرتبطة بمن يخصه السؤال؟

فلا البلد تحتاج إلى تعريف بالنسبة للريفي، فهي بلده.

ولا "الست" تحتاج إلى تعريف فهي "الست".

ولن تكون الإجابة بهذا الوضوح المطلوب ممن يجهل الإجابة، إلا إذا كان جاهلا لمضمونها.

لذا فالإجابة مرتبطة بمن يسأل، وبمن يخصه السؤال، وإن كان من يخصه السؤال، لا يجهله أحد، فالإجابة غير لازمة، بل السؤال يكون بلا معنى، فلا معنى لأن يسأل مصري؛ من هي "الست"؟؟

ولا معنى لأن يسأل أي سائل في أي مكان من هي مصر.

فمصر هي الدولة الأم.

- هي أم الدنيا.
- هي التي كرمها الله بذكرها في القرآن.

- هي بلد خير جند الأرض كما كرمهم نبي الإسلام.
- هي بلد مهجر أبو الأنبياء.
- هي مسقط رأس نبي الله موسى.
- وملجأ نبي الله عيسى.
- هي من وصفت بالأرض، إن علت، علت، وإن هانت، هانت، مهما بدا من علو غيرها، وفيها تولى "يوسف" خزائن الأرض.
- هي مهد الحضارات.
- هي من علم الكون الأخلاق.
- هي من علم الكون الكتابة.
- هي من علم الكون الزراعة.
- هي من علم الكون العمارة.
- هي مقصد الزائرين.
- هي مصر الأمصار.

فهل هي تحتاج إلى اسم؟

ترسب طمي النيل على جانبيه؛ واهبا إيانا أرض مصر الخصبة، حتى قال عنها "هيرودوت": مصر هبة النيل.

ونظرا لأن طمي النيل غنى بمواده الكيميائية التي أمدت أرضها، وأهلها بالخصوبة، فقد سميت مصر "كمت"، بمعنى الأرض السوداء الغنية بالطمي والمواد الكيميائية المخصبة للأرض،

والتي اشتق من منها كلمة وعلم الكيمياء، وكل ساكن في مصر يدعى كيمي، أو كمتي.

وتوالت الهجرات إلى البلد الأكبر، بلد الخير والثقافة، توالت الهجرات من جميع الدويلات رغبة في الحلم الأكبر، حلم العيش في مصر.

فكما أثرت كمت على وافديها، أثر وافديها على اسمها دون المساس بكنهها.

فاللغة مرتبطة بالبيئة ارتباطا وثيقا.

فنرى الرجل في صعيد مصر العليا ينادى ابنه: "يا ولد[٤]" كلمة قوية، قصيرة، حادة، محصورة بين جبلين، كما يحاط النيل من جانبيه

ونرى السيدة في ريف مصر والدلتا تنادى ابنها: "يا والاااااا اااااااااااااااااا[٥]" كلمة ممتدة طويلة، منبسطة انبساط الأرض الخضراء، التي تحيط بها من كل جانب على مرمى البصر.

ونرى السكندري ينادى صديقه بنبرة، ترسم كموج البحر، تمتد ما استطاع أن يمدها بتموجها علوا وانخفاضا تماما كموج البحر.

٤. بضم الواو وسكون اللام والدال وبدون مد لكل الأحرف.

٥. بفتح الحروف كلها ومدها وزيادة مد الألف.

كذلك الصحراء القاحلة، التي أبت أن ينطق أهلها الكلمات اللينة، فآلت الكاف إلى قاف شديدة، كشدة الصحراء، والتاء إلى طاء بقسوة البيئة، لتصبح "كمت" "قمط" مع مرور الوقت.

أما الميم والباء فهما مترادفان في اللغة العربية قديما، "إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين"[٦] لتصبح "قمط" "قبط" ويصبح كل ساكنيها أقباطا، بغض النظر عن ديانتهم، فقبط هي بلدهم، بغض النظر عما يدينون به، أو يؤمنون به.

وكما جذبت مصر راغبيها من الصحراء، فقد جذبت راغبيها، وراغبي علمها من الشمال أيضا، من أوروبا، جذبت الإغريق؛ لينالوا من شرف علم أهلها، وليصبغ على اسمها قبطيوس كاسم، فالأسماء عند الإغريق تنتهي عادة بالمقطع "يوس"، وقد تبدلت "قبطيوس بـ "جبتيوس" لصعوبة القاف الصحراوية التي استبدلت بالجيم اللينة لأهل أوربا، ليضيف الرومان ألفا أمام الجيم، فبعض الحروف يصعب نطقها في أول الكلمة، خاصة إذا كانت الكلمة غريبة على اللغة، كما يحث لنا في العربية أن نضيف حرف الألف لكلمتي "إستميشن" و"إسبيسيال"، ولا أصل لهما في أصل الكلمات، فأصبحت إيجبت، بعد تلاشى مقطع "يوس" الخاص بالأسماء الإغريقية.

٦. سورة آل عمران، آية ٩٦

ومن هنا كانت "إيجبت"، ولكن أنحن مجبرون على ذكر إيجبت، كلما أردنا التحدث عن تلك الدولة العظمى، أنحن في حاجة لذكر اسمها، إنها البلد للريفي، إنها الست لسامع الموسيقى، إنها مصر الأمصار للناس أجمعين، والإجابة تكون مرتبطة بمن يخصه السؤال، وهنا هي إيجبت مصر الأمصار التي لا تحتاج إلى تعريف إنها:

مصر

إنها مصر التي لا تحتاج إلى اسم، فدول العالم جميعا لها أسماء؛ والأسماء لا تترجم، فنجد السعودية هي السعودية بالعربية والإنجليزية، كذلك ليبيا والجزائر، مع قليل من التحريف من أجل اللغة، نفس المبدأ ينطبق على فرنسا بالفرنسية أو العربية، وكذا على ألمانيا أو إنجلترا.

أما مصر فهي لا تحتاج إلى اسم بالرغم من تعدد ما يطلق عليها، فهي:

- الأرض، فقد قال يوسف عليه السلام قاصدا مصرا "قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم[٧]"
- تا ميري، وهى ما تترجم من اللغة الهيروغليفية إلى العربية بالأرض المحبوبة.
- تاوى، بمعنى الأرضين: أرض الشمال وأرض الجنوب.
- هبة النيل.

٧. سورة يوسف، آية ٥٥

- أم الدنيا.
- المحروسة.

كلها صفات لمصرنا الحبيبة، صفات وليست أسماء، صفات نصبغها على من نحبه، ونعيشه.

- مصر هي من نخاطبها ونشكوها ونشكو لها.
- مصر هي من يقتلنا بعدنا عنها، مهما قست علينا الحياة فيها.
- مصر هي من يقتلنا إهمالنا لها، وتجذبنا إليها.
- مصر هي من يجمعنا إن اختلفنا.
- مصر هي من يطل من عيون أبناؤنا في ابتسامة.
- مصر هي من تخرج من ألسنتنا بكلمة حب.
- مصر هي من نشم عبيرها فنحيا.
- مصر هي من نسمع صوتها فنطرب.
- مصر هي من نراها فنسعد.
- مصر هي بسمة المبتسم.
- مصر هي ضحكة الضاحك.
- مصر هي نسمة العبير الساري.
- مصر هي كل عاشق.
- مصر هي من نبعد عنها فنموت، وتبقى أجسادنا متحركة.
- مصر هي روح، ما لمست جسدا إلا أعطته رحيقها، أعطته حياة خاصة، لا يشعر بها إلا من أحبها.

بدونها؛ ما أظنني أنا!!!!